# ولله على الناس حج البيت

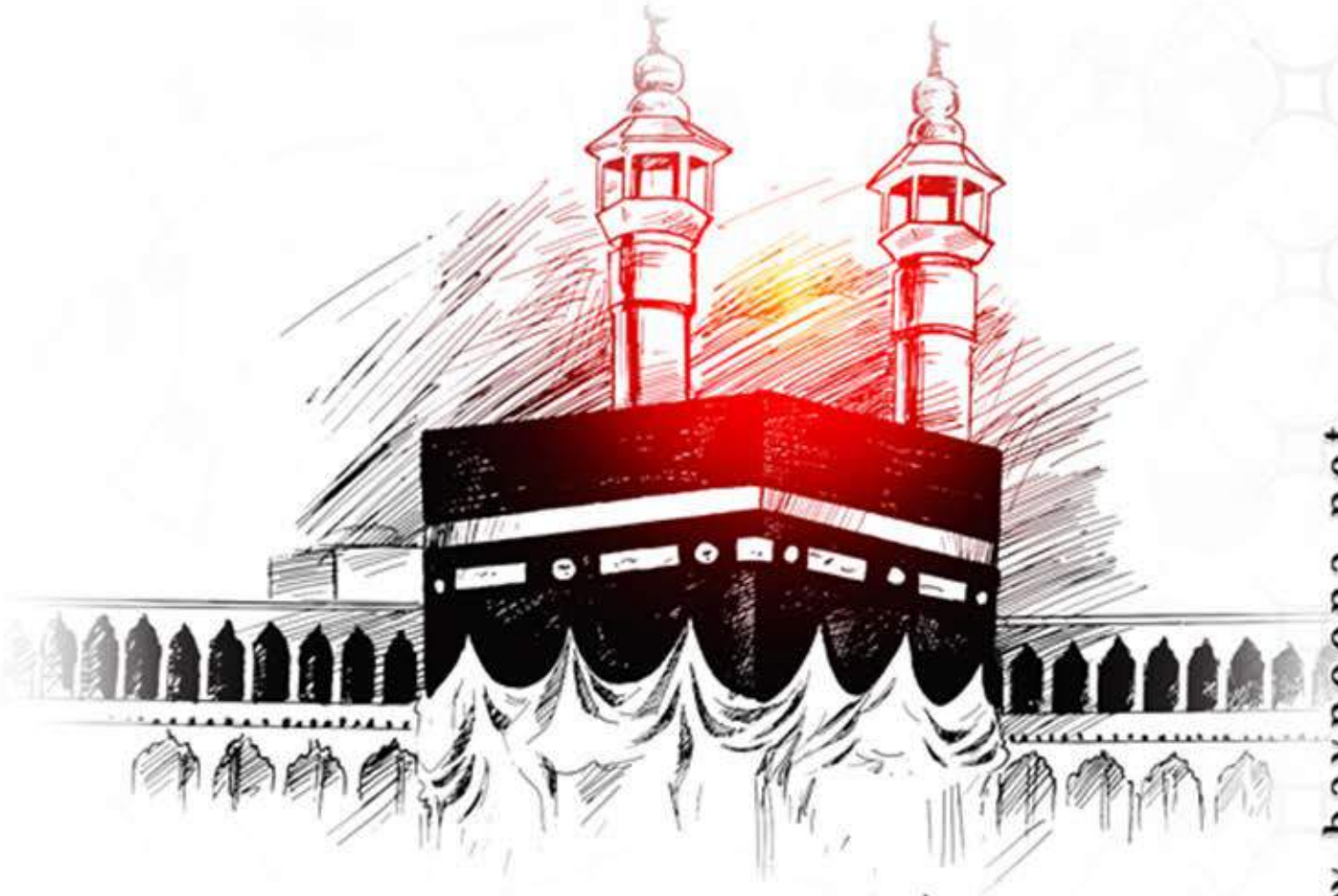

الشيخ
د. هشام بن خليل الطوسي

www.baynoona.net

@baynoonanet

قام بها فريق التفريغ في
شبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغا لمحاضرة

بعنوان

# ولله على الناس حج البيت

للشيخ

د.هشام بن خليل الحوسني

-حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ثم أما بعد:

فقد قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران:٩٧]

أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالحج إلى بيته الكريم والكعبة المشرفة التي بناها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أمرهم بالحج والقصد إلى هذا البيت خاضعين لله سبحانه وتعالى، ملبين له، موحدين مفردين له سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والتذلل والإنابة والتوكل عليه سبحانه وتعالى، قال الله سبحانه وتعالى أمرا نبيه إبراهيم عليه السلام: {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} [الحج:٢٧].

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأن ينادي في الناس أن الله سبحانه وتعالى كتب عليكم الحج فحجوا، جاء عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كما ذكر ابن كثير وغيره أنه قال: يا رب وكيف يبلغ صوتي؟ فقال: أذّن

وعلينا البلاغ، فأتاه الناس من كل حدب وصوب، {وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا} يأتوك ماشين، أو {وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ} راكبين على الإبل وغيرها من الدواب {يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} يأتونك من كل بلد سواء قرب ذلك البلد أو بعد لذلك.

لذلك عباد الله حث النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الشعيرة وهذه الفريضة، بل وعدّها النبي صلى الله عليه وسلم ركنا من أركان الإسلام، ومبنى عظيم من مباني هذا الدين، قال صلى الله عليه وسلم «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيْتِ».[١]

فالحج عباد الله فريضة وركن من أركان هذا الدين، قال عمر رضي الله عنه: «من وجد سعة فلم يحج فليس عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا»[٢]، فالحج إلى بيت الله عز وجل فريضة على كل مسلم مستطيع، قادر، يحج إلى هذا البيت الحرام مرة في العمر، قال صلى الله عليه وسلم «أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ فَحُجُّوا» فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ» الحج مره فمن زاد فهو تطوع أو كما قال صلى الله عليه وسلم»[٣].

---

(١) متفق عليه .

(٢) أخرجه الترمذي حديث ٧٧٤ .

(٣) أخرجه مسلم حديث:٢٤٥٦ .

فالحج عباد الله مدرسة عظيمة ينتفع منها المسلم ويدخلها راجيا ما عند الله سبحانه وتعالى طامعا فيما عنده خائفا من عقابه سبحانه وتعالى، يتعلم في هذه المدرسة المسلم تعلما وتأدبا وتمسكا وعبادةً لله سبحانه وتعالى وتقربا إليه واستزادة من فضله، فالنبي صلى الله عليه وسلم حينما رغّب وبين هذه الفضائل، بيّنها لأصحابه رضي الله عنهم.

قال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص رضي الله عنه حينما جاءه مقبلا على الإسلام خائفا ألا تغفر ذنوبه التي قد سلفت منه وسبقت في الجاهلية، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « أَمَا عَلِمْتَ يا عمرو أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلِهَا وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ »[1]؟

أي: من أقبل على الله سبحانه وتعالى حاجا لبيته الحرام، خائفا متضرعا مقبلا على الله سبحانه وتعالى مخلصا العبادة له عز وجل، فإن هذا الحج يهدم ما كان قبله من السيئات والذنوب والمعاصي، قال صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث أبا هريرة رضي الله عنه: « مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ »[2].

فما أعظمه من فضل! وما أجمله من جزاء جميل يجازيك به الله سبحانه وتعالى! من أقبل على حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه، خاليا

---

(١) أخرجه مسلم حديث:١٩٨

(٢) متفق عليه .

متطهرا من الذنوب والمعاصي، رجع كيوم ولدته أمه، بل قال صلى الله عليه وسلم: « الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ »(١).

قيل في تفسير البر: قيل وما بره؟ قال صلى الله عليه وسلم: « إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَطِيبُ الْكَلَامِ » (٢)والبر: اسم جامع لكل عمل صالح يحبه الله سبحانه وتعالى ويرضاه، سواء كان في أقواله أو في نياته أو في أعماله، فمن حج إلى بيت الله الحرام، مقبلا على الله سبحانه وتعالى كانت حجته حجة مبرورة كان جزاءه الجنة.

هكذا يرغّب نبينا صلى الله عليه وسلم في هذه الشعيرة وهذا الركن العظيم، قال صلى الله عليه وسلم « تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ »(٣)، وهذا دليل على عظيم فضل هذه الشعيرة العظيمة شعيرة الحج إلى بيت الله عز وجل.

جاء في حديث ماعز رضي الله عنه قال: « سُئِلَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، ثُمَّ الْجِهَادُ، ثُمَّ حَجَّةٌ بَرَّةٌ تَفْضُلُ سَائِرَ الْعَمَلِ كَمَا بَيْنَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا »(٤)، فهي إذا من الأعمال العظيمة التي عدّها الله سبحانه وتعالى من مكفرات الذنوب والتي تهدم الخطايا والسيئات.

---

(١) متفق عليه .

(٢) حسن : أخرجه الحاكم في المستدرك حديث:١٧١٩، صحيح الجامع (٢٨١٩)

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي حديث:٧٧٢ صحيح الجامع (٢٩٠١)

(٤) صحيح: أخرجه أحمد في المسند حديث:١٨٦٤١صحيح الجامع (١٠٩٢)

جاء في حديث جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ »[1] وأي كرم وأي فضل تنال وأنت يقال عنك أنك من وفد الله عز وجل، وأنت من وفد الله عز وجل، وأنت من ضيوف الرحمن سبحانه وتعالى، إلى غير ذلك من الفضائل التي جاءت في هذا المنسك وفي هذه الشعيرة العظيمة والركن العظيم وهو ركن الحج إلى بيت الله عز وجل.

نبينا صلى الله عليه وسلم أرسل عليا رضي الله عنه في السنة التاسعة من الهجرة لينادي في الناس ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، فذهب علي رضي الله عنه في السنة التاسعة من الهجرة، وفعل ما أمره النبي صلى الله عليه وسلم، لماذا؟ ليقرر النبي صلى الله عليه وسلم أمرا عظيما دعت إليه جميع الرسل وهو توحيد الله سبحانه وتعالى، وأن العبادة لا تقبل إلا من موحد لله عز وجل، فلا يحجن إلى البيت مشرك، فالعبادة لا تقبل إلا بشرطين قررهما النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الشعيرة العظيمة شعيرة الحج:

**الأمر الأول: الإخلاص لله سبحانه وتعالى وحده،** لذلك قرر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأمر، وأرسل عليا رضي الله عنه لينبه الناس ويبين لهم أن الحج فريضة لا تقبل إلا من موحّد لله سبحانه وتعالى، فلا يحجن بعد العام مشرك، ولا

---

(١) صحيح : أخرجه ابن ماجه حديث: ٢٨٩٠ صحيح الترغيب والترهيب (١٢٦٥)

يطوف بالبيت عريان؛ لأن عادة العرب كما لبّس عليهم إبليس أنهم كانوا لا يطوفون بالبيت إلا عراه لماذا؟ لزعمهم أنهم إن طافوا بهذه الثياب فيجب عليهم أن يتحللوا منها أو يخلعوها؛ لأنها مليئة بالذنوب والمعاصي.

فلذلك لفقرهم كان الواحد منهم يضع ثوبه جانبا ويطوف بالبيت عريان حتى إن المرأة لتطوف وتقول: اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله، يعني لا تحلّه للناظرين إليها، وهذا كله من تلبيس الشيطان عليهم، والعرب كانت من عاداتهم الستر والبعد عن الفحش في إظهار ما يكون يعني من عورة المرأة أو عورة الرجل، إلا أن إبليس دخل عليهم من هذه الشبهة، وهي أن هذه الثياب قد عصيتم الله عز وجل بها، فلا تطوفوا إلا وأنتم عراه، فلذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم عليا أن ينادي ولا يطوفن بالبيت عريان، بل أمرهم بالستر، وهكذا زين لهم إبليس ظنه فاتبعوه.

الأمر الثاني: النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في السنة العاشرة، وحج إلى بيت الله الحرام، وقال صلى الله عليه وسلم « خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ »[1] يقرر الأمر الثاني من شروط قبول العبادة وهو الإخلاص لله سبحانه وتعالى ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم، مقررا في هذا الحديث مسألة متابعة النبي صلى الله عليه وسلم، فالعبادة لا تقبل إلا بشرطين: الإخلاص لله ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أخرجه مسلم حديث:٢٣٦١

قال صلى الله عليه وسلم: « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[١]، و «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ »[٢] وقال صلى الله عليه وسلم كذلك في أمور الصلاة: « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي »[٣] كما قال في الحج « خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ »، فهذه عبادة وفريضة لا يصلح أن يأتي المسلم فيها بأشياء من عنده أو بما يستهويه عقله ويقول أفعل كذا وأفعل كذا.

فحج بيت الله الحرام عبادة، نفعلها كما بينها النبي صلى الله عليه وسلم، وكما أمرنا صلى الله عليه وسلم بها، فلا يأتي شخص ويقول أفعل ما أستحسنه، وكما يقول البعض افعل ولا حرج، هذه الكلمة قالها النبي صلى الله عليه وسلم في وقت محدد، في اليوم العاشر، يوم النحر، قدم بعضهم شيئا وأخر شيئا، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم افعل ولا حرج، فلا يجوز للمسلم أن يأتي في غيرها من أيام الحج ويأتي بعبادة ويقول لنفسه افعل ولا حرج، يقال له « خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ » كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

الحج عباد الله كما ذكرنا قرر فيه النبي صلى الله عليه وسلم هذه القواعد العظيمة وهي الإخلاص لله سبحانه وتعالى، وكذلك متابعة النبي صلى الله عليه وسلم، العرب في زمن إسماعيل عليه السلام كانوا على عبادة الله عز وجل،

---

(١) أخرجه مسلم حديث:٣٣٢٩

(٢) متفق عليه .

(٣) أخرجه ابن حبان حديث:١٦٧٩ ، ،وأصله في البخاري حديث:٦١٠، ومسلم حديث:١١١٥

واستمروا هكذا إلى أن جاء من غير دين الله وبدل وسيب السائبة وبحر البحيرة وهو من خزاعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « وَرَأَيْتُ عَمْرِو بْنَ لُحَيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ ».[1]

ماذا فعل؟ كان سيدا لمكة عمرو بن لحي الخزاعي، وكانوا يقولون كان له رئي من الجن، أي كان له قرين يزعم أنه يعلمه شيئا من الغيب، فقال له ائتي جدة، يعني منطقة جدة تجد منها أصناما معدة، فأتاها فأخرج منها ما كان قد أخفاه الطوفان كما ذكر من أصنام كان يعبدها الناس من ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وزادوا عليها كذلك أصناما جعلوها لكل قبيلة من قبائل العرب.

فقريش لها العزى، ومناة لأهل المدينة، ولأهل الطائف اللات إلى غير ذلك من الأصنام التي عبدوها من دون الله عز وجل، جاء في بعض أقوال أهل العلم أنه جاء عمرو بن لحي الخزاعي إلى بلاد الشام، وكانت الأصنام معروفة فيها يعبدها الناس من دون الله عز وجل، فاستحسن هذا الأمر ونقله إلى جزيرة العرب، فعبدها الناس من دون الله عز وجل، وغيَّر دين وملة الحنيفية إلى عبادة الأصنام والأوثان.

كان مما غيّره كذلك التلبية، فكان العرب يلبّون إلى بيت الله عز وجل يلبون مهلين بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، فبينما هو يطوف وسوس إليه الشيطان: لبيك لا شريك

---

(١) متفق عليه .

لك، قال إلا شريكا هو لك، فاستعجب لماذا؟ لأن العرب كانوا على ملة التوحيد.

لذلك قال الله سبحانه وتعالى عنهم لما غيروا: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ} [يوسف:١٠٦]، يعني تعرفون وتقرون بأن المنعم والمتفضل والرب هو الله سبحانه وتعالى فلم عبدتم غيره فقال له إلا شريكا هو لك فانتبه فقال تملكه وما ملك حتى يزينها له واستحسنها، فقال لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، حتى يخفف المسألة عليه يعني هذا الشريك أنت تملكه وهو لا يملكك، وغيّر في التلبية.

لذلك أنكر الله سبحانه وتعالى عليهم وقال: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ} [ يوسف:١٠٦] يقرون ويعترفون بأن الله خالقهم ورازقهم، {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزمر:٣٨]، بين الله سبحانه وتعالى هذا الأمر في كتابه وأنكر عليهم هذا الأمر، فاستمر الشرك في جزيرة العرب إلى أن جاء النبي صلى الله عليه وسلم آمرا لهم داعيا لهم إلى عبادة الله عز وجل فقال: «قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا»(١)، فاستغربوا، وقالوا: أجعل الآلهة إلها واحدا؟ يعني هم يعبدون ود وسواع واللات والعزى ومناة وهبل وغيرها من الأوثان، أجعل الآلهة إلها واحدا؟

فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم عليهم، وبين لهم ما جاء به الأنبياء من قبله

---

(١) أخرجه أحمد في المسند حديث:١٨٦٣٦

وهي عبادة الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما جاء واحد منهم إلا ويدعوا قومه إلى توحيد الله عز وجل ونبذ الشرك والبعد عنه وعن أهله.

قال الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ} [إبراهيم:٣٥ :٣٦]، فالخليل إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن وإمام الموحدين يخاف الشرك على نفسه، فإذا كان هذا حال إبراهيم عليه السلام وهو إمام الموحدين يقول هذا، فما حال من بعده؟

لذلك قال إبراهيم التيمي رحمه الله تعالى: (فمن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟)، هكذا يجب على المسلم أن يخاف الشرك على نفسه، ويسأل الله سبحانه وتعالى دائما وأبدا أن يحييه على هذا التوحيد وهذا الإسلام وهذه السنة وأن يميته عليها، فلا يأمن البلاء بعد إبراهيم إلا من كان جاهلا بالله سبحانه وتعالى، وبما يوسوسه الشيطان إلى بني آدم.

فهذه الأوثان وهذه الأصنام التي كانت الناس تعبدها من دون الله سبحانه وتعالى كما بين ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره لقول الله عز وجل {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} [نوح:٢٣] قال: (هذه أسماء رجال صالحين كانوا في قوم نوح، فلما ماتوا أتاهم الشيطان فلبس عليهم وقد ذهب العلم عنهم، قد نُسي العلم، فقال لمن بعدهم أن انصبوا لهم الأنصاب،

وصوروا لهم الصور، فعبدوها من دون الله عز وجل).

فمكائد الشيطان وحبائل الشيطان خطيرة يجب على المسلم أن يحذر منها أشد الحذر، لذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يهلّوا بالتوحيد كما قال جابر رضي الله عنه في وصفه لتلبية النبي صلى الله عليه وسلم: (فأهل النبي صلى الله عليه وسلم بالتوحيد-، أي: بإفراد الله عز وجل بالعبادة قائلا: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك).

فكما أنك تقر وتعترف أن الحمد والنعمة لله عز وجل وحده وأن المنعم هو الباري سبحانه وتعالى وحده لا شريك له فكذلك أفرده سبحانه وتعالى بالعبادة، واعبده وحده دون ما سواه عز وجل، لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ربوبيته سبحانه وتعالى.

قال الله سبحانه وتعالى في هذا الحج قال: {لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ} [الحج:٢٨] ما هي هذه المنافع التي يشهدها الناس؟ قال ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره لهذه الآية قال: (منافع في الدنيا ومنافع في الآخرة، فأما منافع الآخرة فرضوان الله عز وجل، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من لحوم البدن في ذلك والذبائح والتجارات).

الناس فيما قبل ذلك كانوا يرون التجارة والفائدة والمنافع في الحج أمر غير مشروع، لذلك أنزل الله سبحانه وتعالى:{ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم} [البقرة:١٩٨] قال ابن عباس رضي الله عنه كما رواه أبو داود وغيره قال: كانوا يتقون البيوع والتجارة في الموسم والحج، يقولون أيام ذكر فأنزل الله سبحانه

وتعالى هذه الآية {ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم} [البقرة:١٩٨] أي تنتفعوا من منافع الدنيا ومنافع الدين والآخرة، ولا شك أن منافع الدين والآخرة هي أعظم وأبقى، فلا حرج على المسلم فيما يتعامل فيه من أمور الدنيا لا في حجه إلى بيت الله عز وجل ما لم يكن ذلك مشغلا له عن طاعة الله عز وجل.

الحج عباد الله فيه منافع كثيرة للناس، فيه تعويد للمسلم على الإقبال على الله سبحانه وتعالى، وإخلاص العبادة له عز وجل، والتذلل والتضرع والخضوع له سبحانه وتعالى، لذلك رغب النبي صلى الله عليه وسلم في الوقوف بعرفة، وقال عليه الصلاة والسلام: «الحَجُّ عَرَفَةُ» مبينا أن أعظم أركان هذا الحج هو الوقوف بعرفة، للدلالة على عظيم هذا الركن وكريم مكانته عن الله سبحانه وتعالى.

جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: « مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فيهِ عبْدًا مِنَ النَّارِ منْ يومَ عَرَفَةَ »[1]، ينزل الرب سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهي بهؤلاء الذين أتوه حجاجا إلى بيته، قال: ومباهيا بهؤلاء ملائكته قائلا لهم: هؤلاء عبادي جاءوني شعثا غبرا، أشهدكم أني قد غفرت لهم، فما أعظمه من فضل وما أكرمه من جزاء يناله هذا الذي يقف بهذا الوقف العظيم.

والنبي صلى الله عليه وسلم قال: « وقَفْتُ هَاهُنا بِعرفَةَ، وعَرَفَةُ كُلُّها موقِفٌ »[2]، وهذا تيسير من النبي صلى الله عليه وسلم على الحجاج، فبين النبي صلى الله عليه

---

(١) أخرجه مسلم حديث:٢٤٧٩

(٢) أخرجه أبو عوانه في المستخرج حديث:٢٨١٦

وسلم أن الوقوف بعرفة ينبغي على المسلم أن ينشغل فيه بالتوبة والإقبال على الله سبحانه وتعالى والتضرع إليه.

وكم جاء عن سلفنا الصالح رضوان الله عليهم من أقوال وكلمات ينبغي على المسلم أن يتأملها وأن يستحضرها، فالله سبحانه وتعالى يأتي في هذا اليوم ويباهي بكم ملائكته إن أقبلتم عليه وخضعتم له وأخلصتم العبادة له سبحانه وتعالى واقتفيتم ما كان عليه نبيكم صلى الله عليه وسلم.

وقف الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى بعرفة فنظر إلى بكاء الناس، فقال: أرأيتم لو أن هؤلاء صاروا إلى رجل فسألوه دانقا، -يعني: مالا يسيرا-، أكان يردهم؟ قالوا: لا، قال: والله للمغفرة عند الله أهون من إجابة رجل لهم بدانق.

فالله عز وجل أكرم من سئل سبحانه وتعالى، لكن ثق يا عبد الله وأيقن أنك تسأل كريما جوادا رحيما سبحانه وتعالى، لا يرد عبده صفر اليدين، « إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا ». [1]

فما بالك بوقوفك في هذا اليوم العظيم وسؤالك لله سبحانه وتعالى في هذا المشعر الحرام تسأله، فهل تظن بالله سبحانه وتعالى غير الخير؟ كلا والله، فلا يظنن المسلم بالله إلا خيرا، فالله سبحانه وتعالى أكرم من سُئل سبحانه وتعالى، وهو الجواد الكريم، فإذا سأل المسلم ربه فليسأل وهو على ثقة ويقين بأن الله عز وجل مجيبه،

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود حديث:١٢٨٦ صحيح الجامع (١٧٥٧)

وأن الله سبحانه وتعالى سامع شكواه، وهو مجيب دعواه سبحانه وتعالى، ولكن احمل يا عبد الله هم الدعاء ولا تحمل هم الإجابة، فالإجابة مرجوة عند رب كريم سبحانه وتعالى، لا يرد عبده، ومن صدق مع الله صدق الله معه، من كان صادقا في دعواه لربه سبحانه وتعالى صدق الله عز وجل معه.

قال ابن المبارك جئت إلى سفيان الثوري عشية عرفة، وهو جاث على ركبتيه وعيناه تهملان، أي من البكاء، فبكيت، فالتفت إلى فقال ما شأنك؟ فقلت: من أسوأ هذا الجمع حالا؟ من هو السيء في هذا الموقف الذي نقفه؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر لهم، أي الذي يظن الله لا يغفر لهم، هذا الذي يكون من أسوأ الناس حالا.

فالله سبحانه وتعالى يغفر لعباده، وينزل سبحانه وتعالى يباهي بهم ملائكته قائلا: (**هؤلاء عبادي جاءوني شعثا غبرا أشهدكم أني قد غفرت لهم**)، فأي فضل وأي جزاء وأي إحسان ترجوه يا عبد الله من رب سبحانه وتعالى يتكرم عليك في هذه الأماكن الشريفة، وهذه الأماكن العظيمة، ويناديك ويباهي بك ملائكته بأنكم أتيتموه شعثا غبرا ويشهدهم أنه قد غفر لكم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يمن علينا بإتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يوفقنا وإياكم لتعلم العلم النافع الذي نسلك به سبيل الخيرات، وسبيل المنعَم عليهم، ونجانب به سبيل المغضوب عليهم والضالين، نسأله سبحانه وتعالى بمنه وكرمه وجوده وإحسانه أن يجعلنا وإياكم ممن يحج إلى بيت الله الحرام حجة مبرورة،

يرجع فيها من ذنوبه كيوم ولدته أمه، نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم لكل خير وبر وإحسان.

كما نسأله ﷻ أن يبارك لنا في دولتنا هذه الدولة الحبيبة، نسأل الله ﷻ أن يمن عليها بالخيرات ويديم عليها البركات، وأن يوفق قادتها وحكامها وشعبها وجميع أهلها، أن يوفقهم لكل خير، وأن سيمن عليهم بالخيرات والنعم، ويجنبهم كل شر وفساد ومنكر، نسأله ﷻ أن يديم علينا النعم، ويجعلنا ممن إذا أُنعم عليهم شكروا وإذا أذنبوا استغفروا.

نسأله ﷻ أن يغفر لنا ويتجاوز عن سيئاتنا، وأن يبارك لنا فيما سمعنا وفيما قلنا وفيما نتعلمه وفيما لم نعلمه أن يزيدنا علما، نسأله ﷻ أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علما، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

نعتني بنقل العلم الشرعي في دولة

الإمارات العربية المتحدة